الأمن الغذائي في العالم العربي: طبيعة التحديات وفرص الخروج من الأزمة

د/ محمد السعيد ادريس
مستشار مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية

عندما ننظر إلى مفهوم الأمن القومي بكلية أبعاده نجد أن الجانب الغذائي يسيطر علي مساحة واسعة من هذا المفهوم الشامل للأمن.. وإذا نظرنا إلى هذا الجانب الغذائي من مفهوم الأمن وفق ما يمكننا تسميته بـ «الأمن المطمئن» الذي يتضمن ثلاثة أبعاد متكاملة حيث تكون «الدول المطمئنة» في حال تسمح لها بيسر إنتاج «كل احتياجاتها ذاتياً من السلاح والغذاء والدواء» سنجد أن الغذاء يشكل ثلث هذه المعادلة. وقد أثبتت أحداث وتطورات السنوات القليلة الماضة أن الأمن الوطني المصري والأمن القومي العربي، وإن كانا يعانيان من نقص في تحقيق معادلة «الأمن المطمئن» فإن التهديد الملموس لهذا الأمن جاء من البُعد الغذائي.

نحن مهددون في أمننا الغذائي، هذا ما كشفته أحداث وتطورات الأعوام الثلاثة الماضية وخاصةً مع بداية واستمرارية وباء «كورونا» الذي هدد «سلاسل الإمداد» وانتقال المنتجات ومنها الغذائية بيسر وأمان بين كافة أنحاء العالم، ومن بعد وباء «كورونا»، وربما معه، جاءت أزمة أوكرانيا التي أدت إلى «انكشاف» الأمن الغذائي لمعظم الدول العربية وغيرها من دول العالم الثالث وخاصة الدول الفقيرة. لماذا نحن العرب نقع في دائرة الخطر من هذا الأمن الغذائي ؟ بما يعنيه من توفير آمن وميسر للكميات الوفيرة والآمنة من الغذاء. نحن هنا نقصد «نحن الوطن العربي» أو «نحن الأمة العربية» ما هي أسباب القصور العربي في إنتاج وتوفير الغذاء لكل المواطنين بالكميات المطلوبة وبالسبل الآمنة؟ هل هناك أسباب خاصة بالعرب في هذه الأزمة أم أن الأزمة شاملة بأبعادها بالأخص لدول العالم الثالث، أو دول الجنوب؟ وكيف لنا من سبيل لتأمين غذائنا وخاصة في ظل الأزمات الخاصة والإقليمية منها والعالمية، لأن هذا هو شرط «الأمن» الحقيقي.

فالتحـدي الحقيقـي لوجـود وتوفـير الأمـن الغـذائي مـن عدمـه هـو القـدرة عـلى توفـير الغـذاء وتأمينـه في أوقـات الأزمـات وليـس فقـط في «أوقـات اليـسرة» فتوفـير الغـذاء الآمـن في «أوقـات العـسرة» هـو معيـار تقييـم وجـود الأمـن مـن عدمـه. هـذه التسـاؤلات فرضـت نفسـها علينـا في دوريـة «آفـاق عربيـة وإقليميـة» وشـجعتنا عـلى خـوض غـمار هـذا التحـدي معتمديـن عـلى كوكبة مـن المتخصصـين في هـذا المجال.

- **الإسـهام الأول:** قدمـه لنـا الأسـتاذ الدكتـور نـادر نـور الدين الأسـتاذ بكليـة الزراعة جامعـة القاهـرة والخبـير في مجـالات الفكـر التنمـوي في المجـال الزراعـي والأمـن الغذائي في دراسـة بعنـوان: واقـع ومسـتقبل الأمـن الغـذائي العـربي، قـدم فيهـا تشـخيصاً دقيقـاً للأزمـة الغذائيـة العربيـة، واسـتبصاراً للتحديـات التـي تواجـه «قطـاع الانتـاج الزراعـي» في الـدول العربيـة، ومحوريـة هـذا القطـاع ضمـن معادلـة «الأمـن الشـامل» الأمـر الذي دفعـه إلي إعطـاء أولوية إلى تشـخيص عوامل الانتاج الزراعـي وفي مقدمتها الموارد المائية. مـن الأفـكار المهمـة لدراسـة الدكتور نادرنور الديـن تركيزه على تحليل أسـباب قلق الدول العربيـة مـن مسـتقبل أمنها الغـذائي ومن مخاطر الاعتـماد على الغير في انتـاج الغذاء، ثم تركيـزه عـلى دراسـة وتحليل مسـتقبل الأمن الغذائي والسـبل الكفيلة بتحقيـق هذا الأمن.

- **الاسـهام الثـاني:** قدمتـه الأسـتاذة الدكتـورة إكـرام عبـد الرحمـن الباحثـة في مجـال التنميـة الاقتصاديـة العربيـة وتحدياتهـا وفي مقدمتهـا انتـاج الغـذاء، في دراسـة حملـت عنـوان: إشـكالية الفجـوة الغذائيـة في العـالم العـربي المشـاكل والحلـول. في هـذه الدراسـة أعطـت الدكتـورة إكـرام أولويـة للتعريـف بمفهـوم «الأمـن الغـذائي وقالـت أنـه يتحقـق عندمـا يتمتـع البـشر كافـة، في جميـع الأوقـات، بفـرص الحصـول مـن الناحيتـين الماديـة والاقتصاديـة عـلى أغذيـة كافيـة وسـليمة ومغذيـة تلبـي حاجاتهـم مـن الغـذاء، وتناسـب أذواقهـم الغذائيـة كي يعيشـوا حيـاة موفـورة النشـاط والصحـة، ومـن هـذا المفهـوم جـاء الحديـث المحـوري عـن إشـكالية الفجـوة الغذائيـة في العـالم العـربي بـين مـا هـو متوفـر وبـين مـا هـو مطلـوب، باعتبـار أن هـذه الفجـوة «هـي المقيـاس الحقيقـي لمسـتوى التهديـد الغـذائي». ضمـن هـذه التحديـات ركـزت الباحثـة عـلى دراسـة المشـكلات التـي تواجـه الوطـن العـربي في تحقيـق أمنـه الغـذائي، وبعدهـا اتجهـت إلى اسـتبصار الحلـول الجذريـة

الكفيلـة بتحقيـق هـذا الأمـن.

-أمـا الإسـهام الثالـث: فقدمـه الأسـتاذ الدكتـور عبـد الـلاه عبـد المنعـم عميـد كلية الزراعـة بجامعـة بنـي سـويف بعنـوان «الأمـن الغـذائي في الـدول العربيـة: الكفـاءة والانتاجيـة وسـبل تغيـير العـادات الغذائيـة» وفي تقديـره لمكانـة ومحوريـة الغـذاء في حيـاة البـشر ومـن ثـم في توفـير أمنهـم مـن عدمـه ركـز الدكتـور عبـد الـلاه عـلى مقولـة أفرزتهـا الأزمـة الأوكرانيـة وهـي أن «الأمـوال ليسـت بديـلاً عـن الغـذاء» فوفـرة الأموال مـع انعـدام توفـير الغـذاء تبـدو عديمـة المعنـى مـن منظـور «الأمـن» مـا يعنـي أن الغـذاء وتوفـيره بالكميـات المطلوبـة وبالمواصفـات الملائمـة هـو أهـم مـؤشرات قيـاس الأمـن مـن هنـا كانـت انطلاقـة الدكتـور عبـد الـلاه للدعـوة إلى «التكامـل الزراعـي العـربي» مـن منظـور أن الفجـوة الغذائيـة العربيـة بلغت٥٠مليـار دولار، مشـيراً إلى أن المـوارد الزراعيـة مـن أرض ومياـه وقـوى بشريـة ورأس مـال وتكنولوجيـا وإدارة ليسـت متوازنـة داخـل كل دولـة عربيـة عـلى حـدة، في حـين أنهـا متكاملـة ومتوازنـة في الوطـن العـربي ككل، ولذلـك فـإن التكامـل الزراعـي العـربي، مـن خـلال وضـع الخطـط الزراعية، وفقـاً للمزايـا النسـبية، وإقامـة المشروعـات الزراعيـة العربيـة البيئيـة في إطـار منطقـة التجـارة الحـرة العربيـة يمكـن أن يحقـق الأمـن الغـذائي العـربي.

ومـن أجـل تحقيـق الأمـن الغـذائي يشـير الدكتـور عبـد الـلاه إلى ضرورة تحسـين البنيـة التحتيـة للقطـاع الزراعـي وتعزيـز الإنتاجيـة والجـودة والكفـاءة في اسـتخدام المـوارد الطبيعيـة، إضافـة إلى ضرورة تغيـير العـادات الغذائيـة وتحسـين نمـط الحيـاة الغـذائي، وتوفـير الغـذاء الصحـي والآمـن لـلأسرة العربيـة.

من هذه المعطيات يتجه الكاتب إلى التعرض لعدد من القضايا ذات الارتباط بتحقيق الأهداف المنشودة:

أولها: واقع الأمن الغذائي والزراعي في الوطن العربي بتحليل مكونات ما يعرف «الأمن الغذائي المطلق والأمن الغذائي النسبي».

ثانيها: أوضاع الأمن الغذائي بالوطن العربي من ناحية أوضاع الزراعة، من أراض زراعية، وندرة المياه، وتدهور التربة، ومشاكل القوى العاملة الزراعية.

ثالثهـا: آفـاق التعـاون الاقتصـادي العربي من ناحيـة تقنية تطور الانتـاج الزراعي العربي

خاصة الزراعة العضوية، والزراعة الماضية، والزراعية العمودية، والتحكم الآلي .. وغيرها.

- **الإسهام الرابع:** قدمته الدكتورة شرين منشاوي بعنوان «تحديات وسياسات تحقيق الأمن الغذائي المستدام في دول شمال أفريقيا» بدأتها بالتأكيد على أن العلاقة بين التنمية الزراعية المستدامة والأمن الغذائي المستدام علاقة عضوية، إذ لا يمكن تحقيق أمن غذائي مستدام دون الاعتماد على التنمية الزراعية المستدامة. تقول الكاتبة أن هذه الحقيقة تبدو شديدة الوضوح في منطقة شمال أفريقيا التي اتضح أنها تمر بأزمة غذائية خطيرة نتيجة لضعف أداء القطاع الزراعي، وهنا توضح أنها تعني بمنطقة شمال أفريقيا الدول العربية في القارة الأفريقية: (مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائروالمغرب وموريتانيا) التي تعاني من عدم القدرة على تحقيق الأمن الغذائي المستدام بها، واهتمت الباحثة في دراستها بضبط المفاهيم المستخدمة: مفهوم الأمن الغذائي المستدام، ومفهوم التنمية الزراعية المستدامة، ثم اتجهت إلى دراسة الوضع الراهن للأمن الغذائي والتنمية الزراعية في دول شمال أفريقيا من خلال دراسة الموضوعات التالية:

- ملامح الفجوة الغذائية في دول شمال إفريقيا.
- تحديات تحقيق الأمن الغذائي المستدام في دول شمال أفريقيا خاصة انخفاض نسبة الأراضي الزراعية الصالحة، وندرة المياه، والتغيرات البيئية والمناخية، وفجوة القضية الزراعية، وسقف التمويل والاستثمار في القطاع الزراعي.
- سياسات تحقيق الأمن الغذائي المستدام في دول شمال أفريقيا.

واختتمت الباحثة دراستها بتقديم رؤية مستقبلية لتحقيق الأمن الغذائي المستدام في دول شمال أفريقيا .

وهكذا بإمكاننا أن نقول أن هذا الملف يقدم رؤى متكاملة في تحليل العلاقة بين الأمن الغذائي والانتاج الزراعي والتنمية الزراعية من ناحية، وتحليل أسباب أزمة ندرة الغذاء واتساع فجوة الغذاء ما أدى إلي تفاقم وطأة غياب الأمن الغذائي، الأمر الذى يؤثر على حالة الأمن العام بالمجتمعات العربية من ناحية ثانية، أخيراً تقديم رؤى مستقبلية وتوصيات للنهوض بالانتاج الزراعي وتحقيق الأمن الغذائي